مدينـــــة مرعـــش

ودورها فى الصراع الاسلامى الصليبى

(١١٠٤ـ١١٧٢م / ٤٩٧ـ٥٦٨ هـ)

اعـــداد

د . ابراهيم خميس ابراهيـــم

مدرس تاريخ العصور الوسطى

بكلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

حظيت دراسة تاريخ المدن الإسلامية فى منطقة الشرق الأدنى الاسلامى ودورها فى الصراع الإسلامى الصليبى ، والذى عرف اصطلاحا باسم «الحركة الصليبية» ، حظيت باهتمام كثير من الباحثين فى السنوات القلائل الماضية ، وتمشيا مع هذا الاتجاه وقع اختيارنا لموضوع هذا البحث المعنون «مدينة مرعش ودورها فى الصراع الإسلامى الصليبى (١١٠٤ ــ ١١٧٢ / ٥٩٧ ــ ٥٦٨ هـ)» ، نظرا لأهمية موقع تلك المدينة فى شمال الشام وعلى أطراف آسيا الصغرى ، ولهذا تصارع على السيطرة عليها إبان الفترة الزمنية موضوع البحث حكام عدة يمثلون قوى مختلفة من نورمانيين ولاتينيين وسلاجقة ، بالاضافة إلى محاولات الأرمن والبيزنطيين لفرض نفوذهم عليها .

وقد وضعنا التحديد الزمنى لموضوع البحث فى الفترة الممتدة بين عامي ١١٠٤ ــ ١١٧٢ م / ٤٩٧ ــ ٥٦٨ هـ ، وذلك لأن التاريخ الأول يمثل بداية سيطرة الصليبيين على المدينة أما الآخر فيمثل تاريخ استعادة نورالدين محمود لها ، وفيما يلي تلك الفترة أصبح دور المدينة فى الصراع الإسلامى الصليبي محدوداً .

وفى البداية تحدثنا عن موقع المدينة وأهميته ، ثم سطرنا نبذة عن أحوال مرعش منذ الفتح الإسلامى لها فى القرن السابع الميلادى / القرن الأول الهجرى حتى القرن العاشر الميلادى / القرن الرابع الهجرى ، وأعقبنا ذلك بتوضيح أحوال المدينة قبيل مجيء الصليبيين إلى الشرق الأدنى الاسلامى ، ثم ألقينا الضوء على الدور الذى قامت به المدينة ، وأثره فى الصراع الاسلامى الصليبي .

وأرجو من المولى عز وجل أن أكون قد وفقت فى اعداد هذا البحث لما فيه خير لأمتنا العربية وتاريخها المجيد .

والله ولي التوفيق ،،،

د . ابراهيم قنيص ابراهيم

تقع مدينة مرعش فى شمال الشام ، ويحدها جبل اللكام من جهة الغرب[1]، وتطل على الطريق المؤدى إلى مدينة حلب ، والثانى المتجه ناحية الجنوب الشرقى إلى مدينة الرها[2] ، والآخر المتجه شمالا إلى مدينة الحدث[3] . ولهذا فهى تقع فى المنطقة التى تفصل بين الشام وبين آسيا الصغرى من جهة ، وبين الشام وأرمينية من جهة أخرى[4] ويتوسطها حصن منيع محاط بسورين[5] وأمامهما خندق[6] .

ولموقع مدينة مرعش أهمية تجارية لكونها تشرف على الطريق البرى المتجه من الشام إلى أراضى آسيا الصغرى ، فضلا عن الأهمية العسكرية لكونها مركزا من المراكز العسكرية الحصينة على الحدود الشرقية للإمبراطورية البيزنطية ، ولهذا حظيت المدينة باهتمام وعناية الأباطرة البيزنطيين[7] قبل بداية حركة الفتوح الإسلامية الكبرى فى القرن السابع الميلادى .

بعد أن انطلقت حركة الفتوح الإسلامية فى أوائل عهد الخليفة أبى بكر الصديق (١١ ــ ١٣ هـ / ٦٣٢ ــ ٦٣٤ م) نجح المسلمون فى عام ١٥ هـ/

---

(١) الحميرى . الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق د. احسان عباس ، بيروت ١٩٧٥ ، ص ٥١٠ .

(٢) Albert d'Aix, Historia Hierosolymitana, in R.H.C.H. Occ. ,Vol., IV, PP. 363 -364.

(٣) البكرى : معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع . تحقيق مصطفى السقا ، ٢ ج ، بيروت (بدون تاريخ) ، جـ ٢ ، ص ١٢١٥ .

(٤) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥٤١ .

(٥) البغدادى : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، ٣ ج ، ط ١ ، بيروت ١٩٥٤ ــ ١٩٥٥ جـ ٣ ، ص ١٢٥٩ .

(٦) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٥ ج ، بيروت ١٩٧٧ ، جـ ٥ ، ص١٠٧ .

(٧) Michael The Syrian, Chronique de Michael le Syrin Patriarche Jacobite d'Antioch (1166-1199) éditée en Francais Par J.B. Chabot, 3 Vols. 1905, Vol. II, PP. 425-426.

٦٣٦ م فى فتح مدينة مرعش [١] أثناء عهد الخليفة عمر بن الخطاب (١٣ ــ ٢٣ هـ / ٦٣٤ ــ ٦٤٤ م) ، وذلك عندما أرسل أبو عبيدة عامر بن الجراح وهو بمدينة منبج [٢] خالد ابن الوليد إلى ناحية مرعش ، ففتحها ، وقام باجلاء أهلها [٣] وأخرب حصنها [٤] ، وتنتهى بذلك السيطرة البيزنطية على مدينة مرعش ، وتبدأ المدينة مرحلة جديدة فى ظل الحكم الاسلامى .

ازداد اهتمام السلطات الاسلامية بمدينة مرعش لكونها تقع فى المنطقة المواجهة للحدود البيزنطية ، والتى عرفت بمنطقة الثغور [٥] إذ سكنها جند المسلمين للتصدى لهجمات البيزنطيين وانطلقت منها الجيوش الاسلامية لمهاجمة الأراضى البيزنطية [٦] ، وكان أول من اهتم بتحصين مدينة مرعش من الحكام المسلمين هو الخليفة الأموى معاوية بن أبى سفيان (٤١ ــ ٦٠ هـ / ٦٦١ ــ ٦٨٠ م) إذ أعاد بناء الحصن الذى سبق أن أخربه خالد بن الوليد ، وأسكنه بعضا من جنده [٧] .

ازدادت غارات البيزنطيين على مدينة مرعش بعد موت الخليفة الأموى يزيد ابن معاوية (٦٠ ــ ٦٣ هـ / ٦٨٠ ــ ٦٨٢ م) مما دفع بعض أهلها إلى مغادرتها [٨] ، ودفع بالخليفة الأموى مروان بن محمد (٦٤ ــ ٦٥ هـ / ٦٨٣ ــ ٦٨٥ هـ) إلى اعادة بناء حصنها [٩] ، وأسوارها [١٠] ، وكان لتلك

(١) Michael The Syrian, op. cit., Vol. I, PP. 426 - 427.

(٢) منبج : مدينة بناحية قنسرين ومركزها ، وهى مدينة كبيرة عليها سور ان وهى من بناء الرومان ، وكان بها قلعة وحصن ، أنظر : الحموى : المصدر السابق ، ص ١٥٧ .

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ١٢ ج ، بيروت ١٩٧٩ م جـ ٢ ، ص٤٩٧ .

(٤) البلاذرى : فتوح البلدان ، ليدن ١٨٦٦ ، ص ١٨٨ .

(٥) البغدادى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٢٥٩ .

(٦) البلاذرى : نفس الموضع .

(٧) الحموى : المصدر السابق ، ص ٥٤١ .

(٨) البلاذرى : المصدر السابق ، ص ١٨٨ . (٩) البغدادى : المصدر السابق ، ص ١٢٥٩ .

(١٠) ياقوت الحموى : المصدر السابق جـ ٥ ، ص ١٠٧

التحصينات أثر كبير فى جعل المدينة بمنأى عن هجمات البيزنطيين قرابة عشر سنوات . ففى عام ٧٥ هـ / ٦٩٥ م تعرضت المدينة لهجوم البيزنطيين ، فخرجت اليهم القوات الاسلامية بقيادة دينار بن دينار حاكم مدينة قنسرين والتقى الجمعان بالقرب من مرعش ، وانتصر المسلمون ، وطاردوا البيزنطيين إلى داخل أراضيهم [١] ، ويبدو أن البيزنطيين قد أحدثوا خراباً بالمدينة لذلك توجه العباس بن الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك (٨٦ ــ ٩٦ هـ / ٧٠٥ــ ٧١٧ م) إلى مرعش فعمرها وحصنها ونقل إليها بعض الأهالى والجند [٢] ، وفى عام ١١٣ هـ / ٧٣١ م انطلقت القوات الإسلامية بقيادة معاوية بن هشام بن عبد الملك من المدينة للإغارة على أراضى البيزنطيين [٣] .

وفى ضوء ما سبق يتضح أن موقع مدينة مرعش فى منطقة الثغور جعلها تتعرض لهجمات البيزنطيين المتكررة ، أعقبها تخريب لتحصينات المدينة ، واهتمام من قبل السلطات الأموية لإعادة بناء ما خرب فيها ، وبقيت أحوال مدينة مرعش فى ظل الصراع الأموى البيزنطى على هذا المنوال . ففى بداية عهد الخليفة الأموى مروان بن محمد (١٢٧ــ١٣٢هـ/٧٤٤ــ٧٥٠م) حاصر البيزنطيون مرعش حتى صالحهم أهلها على الجلاء ، وخرجوا نحو الجزيرة وقنسرين ، وقام البيزنطيون بتخريب المدينة ثم انسحبوا منها . فبعث الخليفة مروان جيشا لاعادة بنائها فبنيت ، وعاد اليها أهلها ، ثم خرج نحوها البيزنطيون مرة أخرى فى أواخر عهد هذا الخليفة الأموى وأخربوها [٤] .

أما فى العصر العباسى فلم يطرأ تغير على دور المدينة فى ظل الصراع

(١) البلاذرى : المصدر السابق ، ص ١٨٨ ــ ١٨٩ ، خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : أكرم ضياء العمرى ، ٢ ج ، بغداد ١٩٦٧ ، جـ ١ ص ٢٧٠ ، الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ١٣ ج ، بيروت ١٩٧١ ، جـ ٧ ، ص ٢١٠ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ٤ ، ص ٩١ .

(٢) البلاذرى : المصدر السابق ، ص ١٨٩ ، الحموى : المصدر السابق ص ٥٤١ .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٧٦ .

(٤) البلاذرى : المصدر السابق ، ص ١٨٩ ، الحموى : المصدر السابق ص ٥٤١ ــ ٥٤٢ .

الاسلامى البيزنطى ، إذ استمرت هجمات البيزنطيين عليها ، واستمرت عناية الخلفاء العباسيين بإعادة بناء تحصينات المدينة وشحنها بالجند . ففى عهد الخليفة أبى جعفر المنصور (١٣٦ــ١٥٨ هـ / ٧٥٤ــ٧٧٥م) تم اصلاح ما خربه البيزنطيون ، وزاد عدد سكانها بعد ما أجزل لهم الخليفة المنصور العطاء لتشجيعهم على الاقامة فيها ، أما الحامية فقد زادت أعداد أفرادها فى عهد الخليفة المهدى (١٥٨ ــ ١٦٩ هـ / ٧٧٥ ــ ٧٨٥ م)[١] .

ظلت مدينة مرعش تحت سيادة الحكم الاسلامى حتى القرن العاشر الميلادى/ القرن الرابع الهجرى ، حيث أخذت الخلافة العباسية تتقلل يوما بعد يوم من سيىء إلى أسوأ[٢] ، بينما أخذت الامبراطورية البيزنطية فى معالجة شئونها الداخلية والخارجية[٣] وتتجه إلى التوسع على حساب الأراضى الإسلامية فى الشرق[٤] ، وفى عام ٩٤٩ م / ٣٣٧ هـ توجه القائد البيزنطى ليوفوقاس Leo Phocas بقواته إلى مرعش واستولى عليها[٥] من الحمدانيين ، وباءت جهود سيف الدولة الحمدانى للتصدى للبيزنطيين ، واستعادة المدينة بالفشل[٦] . وبذلك عادت المدينة إلى الحكم البيزنطى بعد أن ظلت فى حوزة المسلمين قرابة ثلاثة قرون .

اختلف الدور الذى قامت به مدينة مرعش فى ظل الحكم البيزنطى قبيل

---

(١) البلاذرى : نفس الموضع .

(٢) عن بداية سوء تلك الأوضاع راجع : الطوخى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص٢٠٨ــ٢٥٢ .

(٣) Ostrogorowsky, G. : History of theByzantine state.Tr. by Joan Hussy, Oxford 1956..P. 239.

(٤) Canard, M., Histoire de le Dynastie de Hamdanides de Jazira et de Syrie, Paris, 1953, P. 732.

(٥) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص ٤٨٠ .

(٦) Canard,Op. cit. PP. 761 - 769; Schlumberger, G., Un Empereur Byzantin au dixième Siècle Nicephore Phocas, Paris, 1890. PP. 40 - 41

مجيء الصليبيين إلى منطقة الشرق الأدنى الإسلامى عن دورها السابق عندما كانت فى حوزة المسلمين ، وذلك بسبب تغير ظروف المنطقة ، فبعد أن كان دورها محصورا فى كونها تقع فى منطقة الثغور على الحدود الإسلامية البيزنطية والتى شهدت منذ الفتح الإسلامى للمنطقة فى القرن السابع الميلادى / القرن الأول الهجرى حتى القرن العاشر الميلادى / القرن الرابع الهجرى اغارات كل من الجانبين على الآخر والتى كان من أثرها تعرض المدينة للتخريب ، واعادة البناء عدة مرات . أما فى آخريات القرن العاشر وبداية القرن الحادى عشر الميلادى / أواخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجرى أصبحت منطقة الشرق الأدنى الإسلامى ميدانا للصراع بين القوى الإسلامية المختلفة وبعضها البعض من جهة ، وبين القوى الإسلامية وبين البيزنطيين من جهة أخرى ، وكان من الطبيعى أن تنغمس مدينة مرعش فى هذا الصراع بعد أن انتقلت تبعيتها إلى السيادة البيزنطية .

ظهر الأتراك السلاجقة على مسرح الأحداث فى منطقة الشرق الأدنى الإسلامى ، وأخذوا فى توسيع رقعة دولتهم على حساب المسلمين والبيزنطيين فى منتصف القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، وزاد نفوذهم حتى أصبحوا أوصياء على الخلافة العباسية [1] . وأمام التهديد السلجوق لممتلكات البيزنطيين فى الشام وقلوقية ، خرج الامبراطور البيزنطى رومانوس الرابع Romanus IV (١١٦٨ ــ ١٠٧١ م / ٤٦١ ــ ٤٦٣ هـ) بجيشه صوب الحدود الشرقية من الإمبراطورية البيزنطية عام ١٠٦٩ م / ٤٦٢ هـ ، واسترد مدينة منبج [2] ، ثم توجه إلى مدينة مرعش ، وقام بتعيين أحد القادة الأرمن فى جيشه ويدعى فيلارتيوس براخاميوس Philaritus Brachamius [3]

(١) عن ظهور الأتراك وتوسعاتهم راجع : الأصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق ــ بيروت ١٩٧٨م، ص ٧ ــ ١١ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٦٠ .

(٣) يطلق عليه بعض المؤرخين العرب اسم « الفردوس » و « الفلادروس » . انظر : ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠، ص ١٣٨ ، ٤٢٧ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ، تحقيق سامى الدهان ، ٣ ج ، دمشق ١٩٥١ م ، جـ ٢ ، ص ٨٩

حاكما على المدينة [1]

تولى فيلاريتوس حكم مرعش تحت السيادة البيزنطية فى وقت أخذت فيه الامبراطورية البيزنطية تعانى من الضعف ، وتقلص حدودها الشرقية على أيدى السلاجقة ، وتتلقى الضربات المتلاحقة . إذ منيت بهزيمة كبرى على أيدى السلاجقة فى موقعة ملاذكرد عام ١٠٧١ م / ٤٦٣ هـ [2] ، وأما فى الغرب الأوربى فقد استولى النورمان بزعامة روبرت جويسكارد على مدينة بارى التى تعتبر آخر معاقل البيزنطيين فى جنوب ايطاليا [3] .

كان على فلاريتوس فى ضوء المتغيرات الجديدة التى أحاطت بمنطقة الشرق الأدنى الإسلامى ، وبالإمبراطورية البيزنطية أن يحدد علاقته بالبيزنطيين من جهة وبالمسلمين من جهة أخرى . فبالنسبة لموقفه من البيزنطيين ، أظهر فلاريتوس ما يكنه الأرمن من كراهية للبيزنطيين [4] ، ورفض الاعتراف بالإمبراطور البيزنطى ميخائيل دوكاس [5] (١٠٧١ــ١٠٧٨م / ٤٦٣ــ ٤٧٠ هـ) ، ــ واستولى على بعض المدن والحصون التى كانت تابعة للبيزنطيين

---

(١) كان فيلاريتوس من بين الأرمن الذين التحقوا بالخدمة فى الجيش البيزنطى وارتقى إلى رتبة قائد منطقة Domestic ، ثم أصبح حاكما على مدينة مرعش . راجع :

Michael the Syrian, op. cit., Vol. III, P. 173; Anna comnena, The Alexiad, English trans. by Elezabeth Dawes, London, 1928, P. 153.

(٢) عن تلك المعركة راجع : ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ، ١٩٠٨ ، ص ١٣٥ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٦٥ ــ ٦٧ ؛ ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، بيروت ١٩٥٨ ، ص ١٨٥ ؛ الأصفهانى : المصدر السابق ، ص ٣٨ ، وأيضا :

(٣) Vasiliev, A., Histoire de L'Empire Byzantin, 2Vols., Paris, 1932, I, PP. 467 470; Ostrogorowsky, op. cit., P. 304.

Vasiliev, op. cit., I, P. 474.

(٤) عن أسباب تلك الكراهية راجع :

Matieu d'Edesse, Chronique, in R.H.C. Doc. Arm. Vol. I, PP. 72, 75, 113.

(٥) Anna Comnena, op. cit., PP. 152 153; Micheal the Syrian, op. cit., Vol. III, P. 173.

وقتذاك ، ومنها خرتبرت [1] وابلستين [2] والمصيصة [3] ورعبان [4] وطرسوس [5] وعين زربة [6] وملطية [7] والرها فى الفترة فيما بين عامى ١٠٧٧ــ١٠٧٨م / ٤٦٩ــ٤٧٠هـ ، كما خضع له كل من الزعيم الأرمينى روبين حاكم المنطقة التى تقع شمال شرق مدينة سيس بجبال طوروس ، وأيضا الزعيم الأرمينى أوشين حاكم مدينة أذنة [8] ، هذا ، بالإضافة إلى سيطرته على مدينة أنطاكية [9] ، وبذلك وضع فلاريتوس أساس دولة أرمينية جديدة فى

(١) خرتبرت : حصن يعرف أيضا بحصن زياد ، يقع فى أقصى ديار بكر من بلاد الشام بالقرب من ملطية ويفصل بينهما نهر الفرات : راجع ، ياقوت الحموى ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٥٥ .

(٢) ابلستين : مدينة فى بلاد الروم تقع بالقرب من مدينة أبسوس ، ويقال أنها مدينة أصحاب الكهف ، راجع : ياقوت الحموى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٧٣ ؛ البغدادى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٨ .

(٣) المصيصة : مدينة على شاطئ نهر جيحان فى شمال الشام ، وتقع بالقرب من مدينة طرسوس ، راجع ياقوت الحموى : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٤٤ ؛ البغدادى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٢٨٠ ؛ البكرى : المصدر السابق جـ ٢ ، ص ١٢٣٥ .

(٤) رعبان : مدينة فى منطقة الثغور تقع بين مدينتى حلب وسميساط بالقرب من نهر الفرات ، راجع : ياقوت الحموى : المصدر السابق ، جـ ٣ ص ٥١ ؛ البغدادى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٦٢١ .

(٥) طرسوس : مدينة بالثغور الجزرية فى شمال الشام تقع بين أنطاكية وحلب وبالقرب من مدينة أذنة . راجع : ياقوت الحموى : المصدر السابق جـ ٤ ، ص ٣٨ ؛ البغدادى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨٨٢ ؛ البكرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨٩٠ .

(٦) عين زربة : بلد فى شمال الشام تقع بالقرب من المصيصة . راجع : ياقوت الحموى : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ١٧٨ ؛ البغدادى : المصدر السابق جـ ٢ ، ص ٩٧٧ .

(٧) ملطية : مدينة بناها الاسكندر ، وجامعها من بناء الصحابة ، وهى من بلاد الروم وتتاخم الشام . راجع : ياقوت الحموى : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٩٢ ؛ البغدادى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٣٠٨ .

(٨) أذنة : بلد من الثغور تقع بالقرب من المصيصة وبينها وبين حمى فيد عشرين ميلا ، راجع : البغدادى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٤٨ .

(٩) Anna Comnena, op. cit., p. 153; Micheal the Syrian, op. cit., Vol. III, pp. 172 - 173.

جنوب شرق آسيا الصغرى (١) والتساؤلات التى تطرح نفسها هنا تتمثل فى: هل كان فلاريتوس يهدف من وراء قيامه بتلك الأعمال الاستقلال التام عن الإمبراطورية البيزنطية ؟ وهل كتب لتلك الدولة الأرمينية — وهى فى طور التأسيس — البقاء والاستمرار ؟ .

يتضح من أعمال فلاريتوس السابقة ، والتى تعتبر انعكاسا لكراهية الأرمن للبيزنطيين أن فلاريتوس كان يهدف بالفعل إلى اقامة دولة مستقلة عن الإمبراطورية البيزنطية مستغلا ضعفها من جهة ، والصراع بينها وبين السلاجقة من جهة أخرى ، وحالة الاضطراب التى سادت منطقة الشرق الأدنى الإسلامى وقتذاك من جهة ثالثة ، ولكن تضافرت ضده عدة أسباب أدت فى النهاية إلى فشل مشروعه ، وتتمثل فيما يلى :

أولا : أن فلاريتوس لم يكن محبوبا من رعاياه المسيحيين وأيضا من بعض جنده (٢)

ثانيا : أن السلاجقة كانوا لايمكن أن يغضوا البصر عن تلك الامارة الأرمينية التى كانت تعترض طريق توسعهم إلى الشام (٣)

ثالثا : أن الامبراطورية البيزنطية — وان كانت تمر بمرحلة الانكماش — إلا أنها لن تتنازل فى سهولة ويسر عن حقها الشرعى فى السيادة على المناطق التى استولى عليها فلاريتوس (٤) .

رابعا : مؤامرة ابنه وبعض قادته ضده (٥) .

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، ٢ ج ، القاهرة ١٩٦٣ ، جـ ١ ، ص ٩٩ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ١٣٨ ؛ ابن العديم : المصدر السابق جـ ٢ ، ص ٨٧ — ٨٩ .

(٣) عاشور : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١٠٠ .

(٤) Anna Comena, op. cit., p. 153.

(٥) Michael the Syrian, op. cit., Vol. III, P. 173.

نتيجة للأسباب السابقة رأى فلاريتوس ضرورة وضع أسس جديدة لسياسته الخارجية تقوم على معاداة البيزنطيين ، وفى الوقت نفسه يعمل على التقرب من الزعماء المسلمين فى المنطقة المحيطة بدولته الناشئة كى يوفر لها سبل البقاء والاستمرار . لذلك أخذ فلاريتوس يتودد للبيزنطيين ، واعترف بالإمبراطور نقفور الثالث Nicephore (١٠٧٨ ــ ١٠٨١ م / ٤٧١ ــ ٤٧٤ هـ) ، فأقره الإمبراطور على ما تحت سيطرته من ممتلكات ، كما سارع فلاريتوس بالاعتراف بالامبراطور الكسيس كومنين (١٠٨١ ــ ١١١٨ م / ٤٧٤ ــ ٥١٢ هـ) [١] .

أما عن علاقته بالزعماء المسلمين ، فقد أخذ فلاريتوس يتقرب من شرف الدولة مسلم بن عقيل أمير الموصل ، فجعله الأخير يتولى حكم أنطاكية بوصفه نائبا عنه ، ويدفع فى مقابل ذلك أموال الجزية [٢] ، كما قام نائب فلاريتوس فى حكم الرها بنقش السكة باسم أمير الموصل [٣] ، ولم يكتف فلاريتوس بتلك العلاقة مع شرف الدولة مسلم ، إنما سارع إلى عاصمة الخلافة العباسية وأعلن خضوعه وولاءه للخليفة العباسى ، واعتناقه للدين الإسلامى [٤] .

لم تثمر جهود فلاريتوس فى المحافظة على دولته الأرمينية الناشئة ، إذ بدأ عقدها ينفرط فى آخريات حياته . ففى عام ١٠٨٤ م /٤٧٧ هـ استولى سلطان سلاجقة الروم سليمان بن قتلمش (٤٧٤ ــ ٤٧٩ هـ / ١٠٨١ ــ ١٠٨٦ م) على مدينة أنطاكية ، بعدما كاتبه ابن فلاريتوس وبعض الجند فى المدينة

(١) Anna Comnena, op. cit., P. 153.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ١٣٩ ــ ١٤٠ ، وأيضا :
Michael the Syrian, op. cit, Vol. III, P. 173.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ١٢٢ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٨٩

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٤٢٧ وأيضا .
Anna Comnena, Loc. cit. ,
Michel the Syrian, Loc. cit.

يستدعونه لامتلاكها [1] ، كما سيطر القائد السلجوقي محمد بن جبق على قلعة خرتبرت [2]. وبعد وفاة فلاريتوس في مدينة مرعش عام ١٠٩٠ م / ٤٨٣ هـ ، تفككت الدولة الأرمينية الناشئة ، إذ سيطر سلاجقة الروم على مدينتي طرسوس [3] ، والرها [4] ، بينما اقتسم قادة فلاريتوس من الأرمن بقية المدن . فتولى كواسيل حكم مدينة رعبان ، وحصل جبرئيل على ملطية ، أما مرعش فكانت من نصيب القائد ثاتول Thatoul [5] . وبذلك ينتهي الدور الذي قام به حاكم مدينة مرعش قبيل مجيء الصليبيين إلى منطقة الشرق الأدنى الإسلامي ، وتمثل في اقامة دولة أرمينية ، تمزقت بعد وفاته ، واقتسمها بعض قادته من الأرمن الذين مهدوا الطريق للصليبيين على مشارف الشام [6] .

عندما بدأت الحركة الصليبية ، وسار الصليبيون في حملتهم المعروفة بالصليبية الأولى في اتجاه الشرق الأدنى الإسلامي ، واخترقوا سلسلة جبال طوروس ، توجهوا في ١٣ أكتوبر ١٠٩٧ م / ٢٤ شوال ٣٩١ هـ إلى مدينة مرعش فاستقبلهم حاكمها ثاتول ومن معه من الأرمن بالمودة والترحاب ، وقدموا لهم ما يحتاجون اليه من مؤن وزاد [7] ، فاطمأن الصليبيون إلى ثاتول ، واقروه في منصبه كحاكم على المدينة في ظل التبعية البيزنطية [8] ، ومكث

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ١٣٨ ــ ١٣٩ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٩٠ــ٩٦ .

Anna Comnena, Loc. cit., P. 153.

(٢) ابن الأثير : نفس الموضع ، جـ ١٠ ، ص ٤٢٧ .

(٣) William of Tyre, AHistory of Deeds done beyond the sea, 2Vols. Trans by Emily Babcock A.C. Krey, New York, 1943, Vol. II, P. 319.

(٤) ابن الأثير : نفس الموضع .

(٥) Micheal the Syrean, op. cit., Vol. III, pp. 173, 186-187.

(٦) عاشور : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١٨٠ .

(٧) Fulcher of Chartres, A History of the expedition of Jerusalem (1095-1127), Tennessee, U.S.A., 1969, P. 89.

(٨) Micheal the Syrean, op. cit., Vol. III, P. 187.

الصليبيون فى مرعش خمسة أيام ، وبعد أن تزودوا بالمؤن غادروها فى ١٧ أكتوبر / ٢٧ شوال حيث انقسم الصليبيون إلى قسمين : الأول بقيادة بلدوين دى بولون وتوجه إلى الشرق جنوب مدينة الرها [١] ، والثانى ويمثل غالبية الصليبيين قد توجه ناحية مدينة أنطاكية [٢] .

ببقاء ثاتول حاكما على مرعش حتى خروج الصليبيين منها تظل المدينة تحت السيادة البيزنطية التى بدأت منذ منتصف القرن العاشر الميلادى / منتصف القرن الرابع الهجرى ، ويكون الصليبيون قد أقروا تبعيتها للبيزنطيين ، ولكن سرعان ماتعرضت تلك السيادة البيزنطية للخطر عندما حاول أمير أنطاكية النورمانى بوهمند الأول Bohemond I (١٠٩٨ــ١١٠٤م / ٤٩١ــ٤٩٧هـ) فى عام ١١٠٠ م / ٤٩٣ هـ السيطرة على مدينة مرعش ، وانتزاعها من يد الصليبيين ، ولكنه لم ينجح فى محاولته ، وكل ما استطاعه السيطرة على المنطقة المكشوفة المحيطة بالمدينة [٣] . ولعل التساؤل الذى يطرح نفسه فى تلك الحادثة هو : لماذا حاول الأمير بوهمند الاستيلاء على مدينة مرعش ، بالرغم من أن الصليبيين قد أقروا تبعيتها للبيزنطيين ؟ .

يشير كل من ميخائيل السريانى ، والمؤرخ متى الرهاوى إلى أن جبرئيل حاكم ملطية هو الذى حرض الأمير بوهمند على الاستيلاء على مدينة مرعش ، وذلك بسبب النزاع الذى قام بينه وبين ثاتول حاكم مرعش ، وأن جبرئيل كان يخشى هجوم ثاتول على مدينته [٤] . ولكن فى الحقيقة إذا كان هذا التحريض يعتبر سببا مباشرا ، فهناك أسباباً أخرى غير مباشرة تتمثل فى العداء القديم بين

(١) Fulcher of Chartres, Loc. cit.

(٢) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ١٣٤ ، ابن الأثير : المصدر السابق : جـ ١٠ ، ص ٢٧٤ ، ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٣١ ، وأيضا :
William of Tyre, op. cit., Vol. I, P. 204.

(٣) Mattieu d'Esse, op. cit., P. 51.

(٤) Micheal the Syrican, op. cit., Vol. III, P. 187;
Mattieu d'Edesse, op. cit., P. 50.

البيزنطيين والنورمان بصفة خاصة ، وبين الصليبيين وبين البيزنطيين بصفة عامة (١) ، والتى كشفت عنها أحداث الحروب الصليبية .

وكيفما كان الأمر ، فعندما شعر البيزنطيون بخطورة هجوم الأمير بوهمند على مدينة مرعش ، وعزم الصليبيون على الاستيلاء عليها ، أرسل الإمبراطور الكسيس قائده بوتوميتس إلى المدينة للدفاع عنها ، ولم يمكث القائد البيزنطى بضعة أيام حتى استدعاه الإمبراطور إلى القسطنطينية ، فغادر بوتوميتس مرعش بعد ما ترك بها حامية بيزنطية لمواجهة التهديد الصليبى (٢) ، واستغل الصليبيون تلك الفرصة ، فتوجه الأمير النورمانى بوهمند الأول ، يصاحبه الأمير اللاتينى جوسلين دى كورتناى Joscelin de Courtenay حاكم تل باشر إلى المدينة بقواتهما ، وضربوا الحصار حولها ، وعندما شعر ثاتول بعجز المدينة عن المقاومة اضطر إلى تسليمها لجوسلين فى عام ١١٠٤ م / ٤٩٧ هـ ، وسمح له الأخير بالتوجه إلى القسطنطينية (٣) ، وتنتهى عندئذ السيطرة البيزنطية على مرعش ، وتنتقل بتبعيتها إلى الصليبيين لتبدأ مرحلة جديدة فى الصراع الإسلامى الصليبى حولها .

تسلم جوسلين دى كورتناى مدينة مرعش بوصفه نائبا لبلدوين دى بورج Baldwin du Boury الذى كان حاكما على الرها ، ثم أصبح ملكا على بيت المقدس (٤) (١١١٨ــ١١٣١م / ٥١٢ــ٥٢٥ هـ) ، وبذلك أصبحت مدينة مرعش تتبع كونتيه الرها فى ظل السيادة الصليبية ، ولكن نظرا لوقوع كل من بلدوين دى بورج وجوسلين دى كورتناى أسيرين فى قبضة المسلمين بعد أن اشتركا فى معركة حارم عام ١١٠٤ م / ٤٩٧ هـ (٥) ، أصبحت الرها

(١) عن هذا العداء راجع : جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين ، الاسكندرية ١٩٦٧ م .

(٢) Anna Comnena, op. cit., pp. 290 292.

(٣) Matthieu d'Edesse, op. cit., p. 75.

(٤) William of Tyre, op. cit., Vol. I, pp. 287, 369, 522.

(٥) ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٣٧٤ ــ ٣٧٥ ، وأيضا :
William of Tyre, op. cit., Vol. I, P. 459.

ومرعش تحت وصاية تنكريد الأول Tancred I أمير أنطاكية (١١٠٤ — ١١١٢م / ٤٩٧ — ٥٠٦ هـ) ، فقام تنكريد بتعيين ابن عمه وصهره ريتشارد Richard نائبا عنه فى حكم كل من الرها ومرعش [١] ، وتميز حكم ريتشارد بالقسوة وابتزاز الأموال مما أدى إلى نفور سكان المدينتين ، وخاصة الأرمن من حاكمهم الصليبى [٢] ، كما زادت تلك الكراهية عندما قام تنكريد بتجنيد عدد من سكان المدينة لمواجهة العجز من قلة المحاربين فى إمارته[٣] .

ظلت الرها ومرعش تحت وصاية تنكرد قرابة أربع سنوات ، إلى أن تم اطلاق سراح بلدوين دى بورج فى عام ١١٠٨م / ٥٠٢ هـ ، ورفض تنكريد إعادة الرها إليه ، عندئذ لجأ بلدوين إلى الاستعانة بالزعماء الأرمن من قليقية ومن بينهم كواسيل حاكم كيسوم ، واشين حاكم قليقية ، فلبوا النداء وتوجهوا بقواتهم إلى تل باشر لمناصرة بلدوين فى نزاعه مع تنكريد ، وعندئذ تدخل برنارد Bernard بطريرك أنطاكية اللاتينى لإنهاء الخلاف بين الزعيمين ، وأقنع تنكريد بضرورة أعادة الرها إلى بلدوين ، فوافق الأول ، وأمر بسحب نائبه ريتشارد من المدينة [٤] .

استمر ريتشارد يحكم مدينة مرعش حتى عام ١١١١ م / ٥٠٥ هـ بوصفه نائبا عن تنكريد حاكم أنطاكية ، وشارك الصليبيين فى مواجهة الحلف الإسلامى

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٤٦١ ، وأيضا :
Radulph of Caen, Gesta Tancredi Siciliae Regis in Expeditione Hierosolymitana, in R.H.C. - H. Occ., Vol. III, P. 714; Albert d'Aix : op. cit., P. 620. Micheal the Syrian, op. cit., Vol. III, P. 195.

(٢) Matthieu d'Edesse, op. cit., 79;
Albert s'Aix, op. cit., p. 648.

(٣) Radulph of Caen, Loc. cit.

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٤٦١ — ٤٦٢ ، وأيضا :
Albert d'Aix, op. cit., p. 648;
Matthieu d'Edesse, op. cit., pp. 77 - 79.

بقيادة مودود أتابك الموصل ، والتقى الجمعان أمام مدينة شيزر فى العام نفسه ، وان كان اللقاء لم يؤد إلى حدوث اشتباك عسكرى بينهما[1] ، وفى الوقت نفسه استغل كواسيل فرصة انشغال تنكريد ونائبه ريتشارد بمواجهة الحلف الاسلامى ، واستولى على مدينة مرعش ، وبذلك اتسع نفوذه ، وأصبح يسيطر على كيسوم ورعبان بالاضافة إلى مرعش[2] . والتساؤلات التى تطرح نفسها هنا : لماذا لم يطلب بلدوين دى بورج من تنكريد إعادة مدينة مرعش إليه أسوة بمدينة الرها ؟ ، ولماذا طال انتظار بلدوين على تلك المطالبة حتى عام ١١١١م/ ٥٠٥ هـ إلى أن استولى كواسيل الأرمينى على مدينة مرعش ؟ ولماذا قام كواسيل حليف بلدوين بالأمس القريب — بالاستيلاء على المدينة عام ١١١١م/ ٥٠٥ هـ ، وهو يعلم أنها كانت من ممتلكات حليفه السابق ؟ .

لم تشر المصادر التى بين أيدينا إلى أن بلدوين دى بورج قد طلب من تنكريد إعادة مدينة مرعش إليه أسوة بمدينة الرها ، وأمام صمت المصادر فى هذا الجانب ، فاننا نضع للاجابة على التساؤل الأول احتمالا وهو أن بلدوين دى بورج قد اكتفى بالمطالبة — فى بداية الأمر — بمدينة الرها نظرا لأهميتها التى لاشك أنها تفوق أهمية مدينة مرعش بالنسبة له ، وذلك اعتقادا منه أن استرداد الرها سيتلوه فى القريب العاجل استرداد مدينة مرعش ، ولكن العلاقة بينه وبين تنكريد فى الفترة التى تلت استرداد الرها عام ١١٠٨ م / ٥٠٢ هـ ، كانت

(١) عن تلك المواجهة راجع : ابن القلانسى: المصدر السابق ، ص ١٧٧ ؛ اسامة ابن منقذ : الاعتبار ، تحقيق فيليب حتى ، برنستون ، الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٣٠ م ، ص ٦٨ — ٦٩ ؛ ابن الأثير: المصدر السابق ، جـ ١٠ ص ٤٨٦ — ٤٨٧ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٥٩ — ١٦٠ ؛ وأيضا :

Fulcher of Chartres, op. cit., pp. 201 - 203;

Micheal the Syrien, op. cit. Vol. III, P. 205;

Albert d'Aix, op. cit., PP. 683 - 684;

William of Tyre, op. cit., Vol. I,P. 489.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٤٩٢ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٧ ج ، بيروت ١٩٧١ م ، جـ ٥ ، ص ٤٢ ؛ وأيضا :

Matieu d'Edesse, op. cit., PP. 99 - 100.

على غير وفاق ، إذ بدأ الصراع بين بلدوين دى بورج يسانده تابعه جوسلين دى كورتناى حاكم تل باشر ، وجاولى أتابك الموصل من جهة ، وبين تنكريد يسانده صهره ريتشارد حاكم مرعش ، ورضوان بن تتش ملك حلب (٤٨٨ــ ٥٠٧هـ/ ١٠٩٥ــ١١١٣م) من جهة أخرى ، وقد انتهى هذا الصراع بانتصار الفريق الثانى[١] . أما عن الاجابة عن التساؤل الثانى فتتمثل فى أن بلدوين دى بورج ظل حتى عام ١١١١م/٥٠٥هـ لايطالب تنكريد باعادة مدينة مرعش ، لأنه كان فى موقف المنهزم ولايستطيع أن يطالب المنتصر باعادة تلك المدينة ، هذا بالاضافة إلى انشغال بلدوين فى تلك الفترة فى مواجهة الهجمات الاسلامية المتكررة على الرها وتل باشر [٢] . وبالنسبة للإجابة عن التساؤل الثالث ، فقد كان لسياسة التعسف التى اتبعها بلدوين دى بورج ضد الأرمن فى الرها [٣] ، كان لها أكبر الأثر فى تقلب كواسيل حاكم كيسنوم الأرمينى ، الذى غضب لسوء معاملة بنى بلدته ، فهاجم مرعش فى عام ١١١١م / ٥٠٥ هـ واستولى عليها .

كان استيلاء كواسيل على مدينة مرعش ، وازدياد نفوذه فى قليقية بمثابة تهديد لامارة أنطاكية ، وفى الوقت نفسه أثار غضب حاكم الرها الذى كان يتحين الفرصة المناسبة لاسترداد مرعش ، ولهذا تقاربت وجهات النظر بين بلدوين دى بورج وبين تنكريد ، واتفقا على محاربة كواسيل ، مما دفع الأخير

---

(١) عن هذا الصراع راجع : ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٤٦٤ ــ ٤٦٥ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٥٣ ؛ وأيضا :

Albert d'Aix, op. cit., P. 649;

William of Tyre, op. cit., Vol. I, 474.

(٢) عن تلك الهجمات راجع : ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ١٦٩ ــ ١٧٠ ، ١٧٥ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٤٨٦ ، ٤٩٢ ، وأيضا :

Albert d'Aix, op. cit., pp. 672, 680 - 681; Matticu d'Edesse, op. cit., pp. 100 - 105; Michael the Syrican, op. cit., Vol. III, p. 196.

(٣) Matticu d'Edesse, op. cit., pp. 101, 268.

إلى طلب الحماية من آقسنقر البرسقى حاكم الموصل [1] . وبينما كان تنكريد يستعد للزحف إلى ممتلكات كواسيل اشتد عليه المرض فى الطريق ، فعاد إلى أنطاكية [2] ، ومات فى ديسمبر ١١١٢ م / جمادى الآخرة ٥٠٨هـ [3] ، وانتهت بذلك حملته المرتقبة .

لم تشر المصادر التى بين ايدينا إلى تاريخ استرداد بلدوين دى بورج لمدينة مرعش ، وانما أكتفت بالاشارة إلى أن جفرى الراهب Gaufridus Monacus كان يتولى حكم المدينة عام ١١١٩ م / ٥١٣ هـ بوصفه نائبا لجوسلين دى كورتناى حاكم الرها [4] . ولما كان جوسلين قد تولى حكم الرها عام ١١١٨م/ ٥١٢ هـ ليحل محل بلدوين دى بورج حاكمها الأسبق ، والذى أصبح ملكا على مملكة بيت المقدس اللاتينية تحت اسم بلدوين الثانى [5] (١١١٨ــ ١١٣١ م / ٥١٢ ــ ٥٢٥ هـ) ، يكون بلدوين قد استرد المدينة فى الفترة من عام ١١١٢ م / ٥٠٦ حتى عام ١١١٨م / ٥١٢ هـ ، ويبدو أنه استردها فى الفترة التى شهدت حملاته على منطقة قليقية والمحصورة بين عامى ١١١٥ــ ١١١٧م / ٥٠٩ ــ ٥١١ هـ [6] .

وكيفما كان الأمر ، فقد عادت مرعش تتبع كونتيه الرها وحاكمها جوسلين دى كورتناى ، وفى سبتمبر ١١٢٢م / رجب ٥١٦هـ وقع جوسلين

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٥٠١

(٢) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ١٨٣ .

(٣) Fulcher of Chartres, op. cit, p. 425; William of Tyre, op. cit., Vol. I, p. 492.

(٤) Walter The Chancellor, Bella Antiochena, in R.H.C. H-Occ Vol. V., P. 108.
Fulcher of Chartres, op. cit., PP. 227 - 230;
William of Tyre, op. cit., Vol. I, P. 529.

(٥) Fulcher of Chartres, op. cit., P. 178;
William of Tyre, op. cit., Vol. I, P. 369, 522.

(٦) Mattieu d'Edesse, op. cit., pp. 116 - 117.

أسيرا فى قبضة بلك غازى بن بهرام صاحب خرتبرت [1] ، لذلك اسند الملك بلدوين الثانى إدارة الرها فى أبريل ١١٢٣م صفر ٥١٧ إلى جفرى الراهب حاكم مرعش ، وظل جفرى يقوم بتلك المهمة ، وفى الغارات على القرى الاسلامية القريبة من الرها [2] إلى أن نجح جوسلين فى الفرار من سجنه بقلعة خرتبرت ، بينما ظل الملك بلدوين الثانى بداخل القلعة إلى أن جاءت القوات الاسلامية بقيادة بلك بن بهرام ، وتمكنت من أسر بلدوين للمرة الثانية [3] ، وتم نقله إلى قلعة حران [4] .

كان على جوسلين العمل على فك أسر الملك الصليبى ، ولكن عندما علم أن المسلمين قد نقلوه إلى القلعة الحصينة حران ، أخذ فى شن الغارات على المناطق القريبة من حلب ، وقام بأعمال السلب والنهب والتدمير [5] ، وشاركه

(١) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٢٠٨ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق : جـ ١٠ ، ص ٥٩٣ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٠٦ ، وأيضا

Fulcher of Chartres, op. cit., p. 240;

Mattieu d'Edesse, op. cit., p. 131;

William of Tyre, op. cit., Vol. I, p. 540.

(٢) Fulcher of Chartres, op. cit.; p. 237;

Mattieu d'Edesse, op. cit., 131;

William of Tyre, op. cit., Vol. I, p. 537.

(٣) تم أسر الملك بلدوين الثانى للمرة الأولى على يد بلك بن بهرام فى أواخر أبريل ١١٢٣ م / أواخر صفر ٥١٧ هـ ، راجع : ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٢٠٩ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٦١٣ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢١٠ ، وأيضا :

Fulcher of Chartres, op. cit., p. 246;

William of Tyre, op. cit., Vol. I, p. 538.

(٤) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٢٠٩ — ٢١٠ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق : جـ ٢ ، ص ٦١٣ ؛ ابن العديم : المصدر السابق : جـ ٢ ، ص ٢١٣ ، وأيضا :

Fulcher of Chartres, op. cit., p. 248;

William of Tyre, op. cit., Vol. I, p. 543.

(٥) عن تلك الغارات راجع : ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٢١١ — ٢١٢ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢١٣ — ٢١٦ ، وأيضا

فى تلك الغارات نائبه جفرى ، ولقد دفعت تلك الغارات القوات الإسلامية بقيادة بلك بن بهرام للتصدى لجوسلين ونائبه ، وجرى الاشتباك الأول بين الجانبين بالقرب من مدينة عزاز [1] فى يناير ١١٢٤م / ذى القعدة ٥١٧ هـ ، وانتهت المعركة بانتصار غير حاسم للصليبيين ، فتجدد الاشتباك بينهما مرة أخرى فى أبريل ١١٢٤ م / صفر ٥١٨ هـ وكان النصر فى تلك المعركة لصالح المسلمين ، ولما كانت المعركتان السابقتان لم تحسما النصر لأحد الفريقين ، فكان اللقاء الحاسم بينهما بالقرب من مدينة منبج فى مايو / ربيع الأول من العام نفسه ، وفيه تمكنت قوات بلك بن بهرام من الحاق الهزيمة بالصليبيين ، وقتلت الكثير من فرسان الفرنج ، كان من بينهم جفرى حاكم مرعش [2] .

بمقتل حاكم مرعش عام ١١٢٤ م / ٥١٨ هـ ، عادت إدارة المدينة إلى جوسلين دى كورتناى حاكم الرها وتل باشر ، وظلت مرعش تحت إدارته حتى توفى فى عام ١١٣١م / ٥٢٦ هـ ، وخلفه ابنه الصغير جوسلين الثانى [3] ، فى وقت بدأت فيه اليقظة العربية الاسلامية — التى كان من بين روادها الأول مودود واقسنقر — تقوى وتنمو على يد عماد الدين زنكى حاكم الموصل وحلب .

بعد أن تولى جوسلين الثانى حاكم امارة الرها عام ١١٣١ / ٥٢٦ هـ، قام بتعيين أحد قادة الفرسان — الذين عملوا فى خدمة أبيه — ويدعى بلدوين

Fulcher of Chartres, op. cit., pp. 248 - 249;

William of Tyre, op. cit., Vol. I, p. 542.

(١) عزاز : بلدة تقع فى شمال حلب ، طيبة الهواء ، عذبة الماء ، صحيحة التربة ، راجع : الحنفى ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٩٣٧ .

(٢) عن تلك المعارك راجع : ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٢١٢ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٦١٩ ؛ ابن العديم : المصدر السابق جـ ٢ ، ص ٢١٦ — ٢١٠ ، وأيضا :

Fulcher of Chartres, op. cit., p. 248;

William of Tyre, op. cit., Vol. II, p. 16.

(٣) Micheal the Syrienn, op. cit., Vol. III, p. 232;

William of Tyre, op. cit., Vol. II, pp. 52 - 53.

حاكما على مرعش وكيسوم [1] ... في وقت فيه كفة الميزان في الصراع الصليبي الإسلامي تميل لصالح المسلمين ، وصار هدف الصليبيين على حد قول المؤرخ ابن الأثير : « حفظ ما بأيديهم بعد أن كانوا قد طمعوا في ملك الجميع » [2] ، وقد انعكس هذا التغير على امارة الرها ، إذ بدأت تواجه الضربات من قبل المسلمين والأرمن . ففي عام ١١٣٥/ ٥٢٩هـ قام الأمير الأرميني ليو الأول Leo I بالتحالف مع أمير الدانشمند محمد الثاني ابن غازي ، وهاجم قلعة سرفنتيكار [3] ، الخاضعة لنفوذ بلدوين حاكم مرعش وكيسوم ، ونجح ليو في الاستيلاء على القلعة دون أن يتحرك بلدوين للدفاع عنها [4] ، وفي عام ١١٣٦م / ٥٣٠ هـ قام الأفشين التركي — قائد سيف الدين سوار نائب عماد الدين زنكي في حلب — بشن الغارات على المناطق القريبة من مرعش وكيسوم ، وعجز بلدوين عن مدافعته [5] ، ولم يكتف حاكم مرعش وكيسوم بأنه عجز عن حماية المناطق الخاضعة له ، وانما أقحم نفسه في الخلف الذي قام بين ريموند الثاني أمير أنطاكية (١١٣٦ — ١١٤٩م / ٥٣٠ — ٥٤٤ هـ) وبين ليو الأرميني ، إذ شارك أمير أنطاكية في حملته عام ١١٣٦ م / ٥٣٠هـ ضد ليو الأرميني ، ولكن إنتهت تلك الحملة بنجاح ليو في التصدي لها وتحقيق الانتصار عليها بفضل مؤازرة إبن أخته جوسلين الثاني الذي ناشد الطرفين إلى نبذ الحروب ، وعقد المفاوضات ، فوافق ليو على أن يجتمع ببلدوين حاكم مرعش ، ولكن الأخير غدر بالأمير الأرميني ، وقبض عليه ، وأرسله أسيرا إلى

(١) Micheal the Syrian, op. cit., Vol. III, pp. 230 - 121; William of Tyre, op. cit., Vol. II, p. 158.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٦٦٣ .

(٣) سرفنتيكار : قلعة حصينة في بلاد الأرمن ، تقع بالقرب من اليو الجنوبي لنهر جيحان ، وعلى بعد أربعة أميال من تل حلدان ، راجع : القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الانشاء ، ١٤ ج ، القاهرة ١٩١٣ — ١٩١٣ م ، جـ ٤ ، ص ١٣٤ .

(٤) Micheal the Syrian, op. cit., Vol. III, pp. 231 - 233.

(٥) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٥٥ ، ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٦١ — ٢٦٢ ، وأيضا :
Micheal the Syrian, op. cit., Vol. III, p. 244.

أنطاكية [1] . والتساؤل الذى يطرح نفسه هنا هو : لماذا سمح جوسلين الثانى لنائبه فى حكم مرعش وكيسوم أن ينتهج سياسة مخالفة لميوله ، ويعادى حاله الأمير الأرمينى ؟ وعند الاجابة على هذا التساؤل يجب أن نوضح أن جوسلين الثانى كان يتولى امارة الرها باعتباره نائبا عن الملك الصليبى فولك Fulk (١١٣١ــ ١١٤٤م / ٥٢٦ــ ٥٣٩ هـ) الذى كان راضيا عن تلك الحملة الموجهة ضد ليو الأرمينى ، ولم يكن بوسع جوسلين الثانى أن يخالف رغبات الملك الصليبى [2] .

على أية حال ، نتيجة لغدر بلدوين حاكم مرعش بالأمير الأرمينى قام الأمير محمد الثانى بن غازى بشن الغارات على المناطق المحيطة بمرعش وكيسوم ، وعاث فيها فساداً وتدميراً [3] .

بدأ الصليبيون يشعرون بخطورة الهجمات الاسلامية على الممالك اللاتينية ومحاولات عماد الدين زنكى توحيد الجبهة الاسلامية ، وفى الوقت نفسه يشعرون بخطورة محاولات الامبراطور البيزنطى حنا كومنينوس John Comnenus (١١١٨ــ ١١٤٣م / ٥١٢ــ ٥٣٨هـ) لاستعادة أنطاكية من الصليبيين . لذا استقر رأيهم على نبذ الخلف مع الإمبراطورية البيزنطية وارضاء الامبراطور البيزنطى ــ مؤقتا ــ والإتفاق على التعاون معا ضد المسلمين . فتوجه الأمير ريموند إلى معسكر الإمبراطور البيزنطى أمام أنطاكية ، وبذل له يمين الطاعة والولاء ، واتفقا على تنسيق التعاون ضد المسلمين ، فاكتفى الامبراطور حنا برفع العلم البيزنطى على قلعة أنطاكية [4] وتوجه إلى قيلقية فى سبتمبر ١١٣٧م/

(١) Gregory the Priest, Continuation of Matthew of Edessa's Chronicle, in R.H.C. Doc. Arm., Vol. I, p. 152

(٢) William of Tyre, op. cit., Vol. II, p. 201.

(٣) Gregory the Priest, op. cit., p. 152.

(٤) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٢٥٨ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ٥١ــ ٥٢ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٦٢ ــ وأيضا : =

ذى الحجة ٥٣١ هـ حيث قدم إليه بلدوين حاكم مرعش وكيسوم ، وبذل له يمين الولاء والتبعية ، والتمس الحماية منه ضد هجمات المسلمين[١]

بدأ الحلفاء الصليبيين والبيزنطيين فى مهاجمة المدن الاسلامية فى شمال الشام ، وقد شارك حاكم مرعش وكيسوم القوات البيزنطية فى الاستيلاء على مدينة البلاط [٢] فى يوم الخميس الحادى من أبريل ١١٣٨م/ الثامن عشر من رجب ٥٣٢هـ ، كما شارك بلدوين الحلفاء فى الاستيلاء على مدينة بزاعه[٣] ، والأثارب [٤] ، ومعرة النعمان [٥] ، وكفر طاب [٦] ، وأيضا فى حصار مدينة شيزر [٧] ، وأمام منعة شيزر من جهة وما قام به عماد الدين زنكى من

Micheal The Syrian, op. cit., Vol. III, p. 245;

Gregory the Priest, op. cit., p. 153;

Cinnamus, J., Epitom Historiarum, in Corupus Scriptorum Historiae Byzantinae, Bonn, 1836, pp. 18 - 19;

Nicetas Coluiates, Historia, in Corupus Scriptorum Historiae Byzantinae, Bonn, 1835, pp. 37 - 38;

William of Tyre, op. cit., Vol. II, p. 93.

(١) Micheal the Syrian, op. cit. vol. III, p. 245; Gregory the Priest, op. cit. p. 153.

(٢) البلاط : مدينة فى شمال الشام تقع بين مدينتى مرعش وأنطاكية ، راجع البغدادى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢١٥ .

(٣) بزاعه : بلدة من أعمال حلب فى وادى بطنان ، تقع بين منبج وحلب ، وفيها عيون جارية : راجع ياقوت الحموى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٦٢ ؛ البغدادى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٩٢ .

(٤) الأثارب : قلعة فى شمال الشام ، تقع بالقرب من مدينة حلب ، وعلى بعد ثلاثة فراسخ منها . راجع : البغدادى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٤ .

(٥) معرة النعمان : مدينة كبيرة تنسب إلى النعمان بن بشير الصحابى ، تقع بين حلب وحماة . راجع : البغدادى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٢٨٨ .

(٦) كفر طاب : بلدة فى شمال الشام ، تقع بين معرة النعمان وحلب . راجع : البغدادى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١١٧٠ .

(٧) عن هذا الهجوم راجع : ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٢٦٥ — ٢٦٦ ؛ أسامة بن منقذ : المصدر السابق : ص ١٣١ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ٥٣ ، ٥٦ — ٥٧ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٦٢٨ — ٦٢٩ ؛ أيضا : هـ

ترهيب الحلفاء ، والتفرقة والتدمير بين البيزنطيين وبين الصليبيين [1] من جهة أخرى ، نتيجة لكل ذلك تقاعس جوسلين الثانى حاكم الرها ، ونائبه بلدوين حاكم مرعش عن مشاركة الإمبراطور البيزنطى فى الهجوم على شيزر [2] ، مما كان له أثر كبير فى تفكك الحلف الصليبى البيزنطى من جهة ، وتقوية الجبهة الاسلامية من جهة أخرى ، وتوجيه المسلمين لمزيد من الضربات للصليبيين من جهة ثالثة .

بدأت الوحدة الاسلامية تؤتى أكلها ، ونجح عماد الدين زنكى من استرداد الرها فى جمادى الآخرة ٥٣٩ هـ / ديسمبر ١١٤٤ م ، وبذلك كانت الرها [3] أولى الامارات الصليبية التى استعادها المسلمون ، وفى الوقت نفسه كانت أولى الامارات اللاتينية التى أقامها الصليبيون فى منطقة الشرق الأدنى الاسلامى .

أخذ جوسلين الثانى ونائبه بلدوين يتحينان الفرصة المناسبة لاستعادة الرها ، وقد جاءهما ما ينتظران بعد مقتل عماد الدين زنكى فى ربيع الآخر ٥٤١ هـ /

William of Tyre, op. cit., Vol. II, pp. 93 - 94;
Micheal the Syrian, op. cit., Vol. III, p. 243;
Cinnamus, op. cit., pp. 18 - 20;
Nicetas op. cit., pp. 37 - 40.

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ٥٧ ــ ٥٨ .

(٢) William of Tyre, op. cit., Vol. II, p. 95.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن فتح الرها ، راجع : ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص٢٧٩ــ ٢٨٠ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ٩٨ــ٩٩ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ٢٧٨ــ ٢٧٩ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، ٣ ج ، تحقيق د. جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٣ــ ١٩٦٠ ، جـ ١ ، ص ٩٣ ــ ٩٤ ؛ وأيضا :

William of Tyre, op. cit., Vol. II, pp. 140 - 143;
Micheal the Syrian, op. cit., Vol. III, pp. 259 - 263;
Odo of Deuil, De Profectione Ludovice VII Orientem, New York, 1948, pp. 7 - 9 ;
Roger of Wendover, The Flowers of History, 2 Vol., London 1888, Vol. I, pp. 498 - 502.

سبتمبر ١١٤٦ م [١] فشعرا بأن مسرح الأحداث قد خلا من تلك الشخصية الاسلامية التى جعلت الأخطار تحيط بهما من كل صوب ، ولم يكونا يعلمان أن عماد الدين قد خلف من بعده أبناء ، وعلى رأسهم نور الدين محمود ، لايقلون كفاءة ومقدرة وحكمة عن أبيهم .

توجه جوسلين الثانى ومعه نائبه بلدوين بقواتهما إلى الرها فى أكتوبر ١١٤٦م / جمادى الآخرة ٥٤١ هـ ، واتصلا بالأرمن داخل المدينة ، فسهلوا لهما دخولها على حين غفلة من حاميتها السلجوقية القليلة ، والتى كان عماد الدين قد تركها لحمايتها ، فاعتصمت الحامية بقلعة الرها ، وعجز كل من جوسلين وبلدوين عن الاستيلاء على القلعة ، وما أن علم نور الدين محمود بأنباء دخول الصليبيين الرها ، حتى أسرع بقواته وحاصر الصليبيين بداخلها ، فشعر جوسلين ومعه نائبه بحرج الموقف ، وصمما على اختراق الحصار والفرار من المدينة ، ونجح جوسلين وبعض قواته فى الفرار بعد ما أصيب فى رقبته ، بينما قتل بلدوين حاكم مرعش [٢] .

لم يجن جوسلين الثانى من محاولته لاستعادة الرها سوى مزيد من الضعف لإمارته المنهارة ، إذ فقد كثيرا من فرسانه ، وقتل حاكم مرعش لذلك قام بتعيين صهره رينولد Renaud خلفا لبلدوين فى حكم المدينة ، وقد نجح رينولد فى أن

---

(١) عن مقتل عماد الدين زنكى راجع : ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٢٨٤ ــ ٢٨٥ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١١ ، ١١١ ــ ١١٢ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٨١ــ٢٨٢ .

(٢) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٢٨٨ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ١١٤ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٩٠ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١١١ ، وأيضا :

William of Tyre, op. cit., Vol. II, pp. 157 - 161;

Micheal The Syrican, op. cit., Vol. III, pp. 270 - 272.

بفرض نفوذه على الأرمن[1] فى كركر[2] ، فجاء هذا التوسع بمثابة تهديد لنفوذ سلاجقة الروم فى المنطقة ، وجلب مزيد من الأخطار لمدينة مرعش ، إذ ضاق السلطان مسعود بن قلج أرسلان (٥١٠ــ ٥٥٠هـ / ١١١٦ــ ١١٥٥ م) ، بتوسعات رينولد ، وقام فى عام ٥٤٣هـ / ١١٤٨م بمهاجمة المناطق المحيطة بمرعش وأنزل بها الدمار[3] ، ثم زحف فى جمادى الأولى ٥٤٤ / سبتمبر ١١٤٩م بقواته على المدينة واستولى عليها لفترة قصيرة ، وما لبث أن انسحب منها عندما علم بقدوم الملك الصليبى بلدوين الثالث Baldwin III (١١٤٤ ــ ١١٦٢ م / ٥٣٩ ــ ٥٥٧ هـ) بقواته لنجدتها[4] .

أخذت بقايا امارة الرها المنهارة ومن بينها مدينة مرعش تنتقل يوما بعد يوم من سيىء إلى أسوأ ــ وأخذت القوى الإسلامية من سلاجقة وأراتقة بالإضافة إلى قوات نور الدين محمود ، أخذت توجه الضربات الواحدة تلو الأخرى لتلك الامارة المتداعية . فلم يكتف رينولد حاكم مرعش بتوسعاته التى جلبت على مدينته الخراب من قبل سلاجقة الروم ، إنما خرج بقواته لمساندة الأمير ريموند حاكم أنطاكية فى مواجهة قوات نور الدين محمود التى بدأت فى حصار قلعة أنب[5] ، وجرت المعركة بينهما فى صباح يوم ٢٩ يونيو ١١٤٩م/ ٢١ صفر ٥٤٤ هـ ، وانتهت بانتصار حاسم للمسلمين ، وقتل الكثير من فرسان

---

(١) William of Tyre. op. cit., Vol. II, p. 53;
Micheal the Syrican. op. cit., Vol. III, pp. 209 - 210;
Gregory the Priest, op. cit., p. 162.

(٢) كركر : حصن يقع فى قليقية بالقرب من مدينتى ملطية وآمد . راجع : البغدادى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١١٥٨

(٣) Micheal the Syrican. op. cit., Vol. III, p. 210.

(٤) William of Tyre. op. cit., Vol. II, p. 200.

(٥) أنب : حصن فى شمال الشام من أعمال عز ، ويقع بالقرب من حلب . راجع : البغدادى المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٢٠ .

الصليبيين كان من بينهم الأمير ريموند ، ومعه رينولد حاكم مرعش وكركر [1] .

أما الأراتقة فكان لهم هم الآخرين نصيبا من تلك الفريسة الممزقة ، إذ قام قره أرسلان الأرتقي — صاحب حصني كيفا وخرتبرت — بالاستيلاء على منطقة كركر عام ١١٤٩م/ ٥٤٤هـ ، فكان ذلك مدعاه لسرور المسيحيين اليعاقبة في المنطقة الذين فضلوا حكم قرة أرسلان عن حكم رينولد بما اتسم به من محاباه للارمن واضطهاد لليعاقبة [2] .

انتهت مرحلة الانهيار لامارة الرها اللاتينية بوقوع جوسلين الثاني أسيراً في قبضة نور الدين محمود عام ١١٥٠م/ ٥٤٥هـ [3] ، واقتسام نور الدين ووالد زوجته السلطان مسعود بن قلج أرسلان بقايا تلك الامارة ، إذ أصبحت مرعش تابعة لسلاجقة الروم [4] .

ظلت مدينة مرعش سلاجقة الروم في قونيه . وفي عهد قلج أرسلان ابن مسعود (٥٥١ — ٥٨٤هـ / ١١٥٦ — ١١٨٨م) تعرضت مراعي الابل والماشية القريبة من المدينة عام ١١٦٠م/ ٥٥٥ هـ لهجوم من قبل رينو دي

---

(١) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣٠٤ — ٣٠٥ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ١٤٤ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٩٨ — ٢٩٩ ؛ أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، جزءان ، القاهرة ١٢٨٧ — ١٢٨٨ هـ ، جـ ١ ، ص ٥٨ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٢٠ — ١٢١ ؛ وأيضا :
William of Tyre, op. cit., Vol. II, pp. 196 - 198.

(٢) Gregory the Priest, op. cit., p. 162;
Micheal the Syrian, op. cit., Vol. III, pp. 210 - 211.

(٣) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣١٠ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ١٥٤ — ١٥٥ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٠٢ ؛ وأيضا :
William of Tyre, op. cit., Vol. II, p. 201.

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ٣٩١ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٣٨ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٢٣ .

شاتيون Renaud de Chatillon حاكم أنطاكية آنذاك (١١٥٣ــ ١١٦٠م/ ٥٤٨ــ ٥٥٥ هـ) والمعروف فى المصادر العربية باسم أرناط ، إذ أستولى على الكثير من تلك القطعان وعاد إلى أنطاكية متجنبا مواجهة قوات نور الدين محمود [١] .

وعندما ساءت العلاقات بين نور الدين وبين قلج أرسلان بن مسعود بسبب تقاعس الأخير عن مشاركة نور الدين فى الجهاد ضد الصليبيين والبيزنطيين ، وبسبب اعتدائه على أملاك أمير الدانشمند ذى النون فى ملطية ، واستنجاد الأخير بنور الدين محمود ، عندئذ ، أرسل نور الدين إلى قلج أرسلان يطالبه برد ما أخذه من أملاك الدانشمند ، ولما رفض الأخير ذلك ، زحف نورالدين بقواته فى عام ٥٦٨هـ / ١١٧٢م، فملك مرعش فى ذى القعدة / أغسطس من العام نفسه ، وأعاد كيسوم إلى آل الدانشمند [٢] .

بامتلاك نور الدين لمرعش ، تنضم المدينة إلى الجبهة الإسلامية التى وحدها نورالدين ، وأكدها من بعده صلاح الدين مؤسس الدولة الأيوبية وكانت تلك الجبهة الموحدة هى الركيزة التى انطلقت منها الجيوش الاسلامية لتحقق النصر على الصليبيين فى موقعة حطين عام ١١٧٧م/ ٥٨٣هـ، والتى أثمرت بعودة معظم المدن والقلاع الاسلامية إلى أصحابها .

أما عن دور المدينة فى القرن الثالث عشر الميلادى / القرن السابع الهجرى فهو محدود ، إذ عادت المدينة إلى حكم سلاجقة الروم ، واتخذها السلطان عزالدين كيكاوس (٦٠٦ــ ٦١٦ هـ/ ١٢١٠ــ ١٢١٩م) كقاعدة لشن الهجمات على الملك الأرمينى ليو الثانى [٣] Leo II (١١٨٧ــ ١٢١٩م/ ٥٨٣ــ ٦١٦هـ) وظلت المدينة هدفا للهجمات بين السلاجقة والأرمن إلى

(١) William of Tyre, op. cit., Vol. II, pp. 280 - 284; Gregory the Priest, op. cit., p. 198.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ٣٩١ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٣٨ ، ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٢٣ .

(٣) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٣٤ ــ ٢٣٥ .

أن استعادها السلطان المملوكى الأشرف خليل (٦٨٩ــ ٦٩٢هـ/ ١٢٩٠ــ ١٢٩٣م) فى آخريات عهده عام ١٢٩٣م/ ٦٩٢هـ.[1]

ويتضح من العرض السابق أن موقع مدينة مرعش من منطقة الثغور جعلها هدفا للاغارات البيزنطية منذ القرن السابع الميلادى / القرن الأول الهجرى حتى القرن العاشر الميلادى / القرن الرابع الهجرى ، وأن المدينة كانت محط عناية السلطات الاسلامية سواء أكانت أموية أم عباسية ، وعندما سيطر عليها البيزنطيون فى القرن العاشر الميلادى / القرن الرابع الهجرى أصبحت المدينة مركزا لدولة أرمينية ناشئة ، سرعان ماتعرضت للتفكك والانقسام ، وتوارثها بعض قادة الأرمن ، الذين مهدوا الطريق للصليبيين على مشارف الشام .

وبعدها سيطر الصليبيون على مرعش ، بدأ دور المدينة يتضح فى الصراع الإسلامى الصليبى ، إذ أمدت القادة الصليبيين بالرجال ، وشارك حكامها فى العديد من المعارك التى دارت رحاها فى الشام . كما بسط حكامها نفوذهم على المناطق الأرمينية فى كيسوم وكركر ، وشاركوا فى الهجوم البيزنطى الصليبى على المدن الاسلامية ، واستمر هذا الدور قويا فعالا إلى أن بدأت اليقظة العربية الاسلامية ، وجاء توحيد الجبهة الاسلامية على يد عماد الدين زنكى وابنه نور الدين محمود اللذين وجها العديد من الضربات للمدينة ، فبدأت فى طريقها السريع نحو الضعف والانهيار إلى أن استردها نور الدين فى عام ١١٧٢م/ ٥٦٨ هـ .

والله ولى التوفيق ،،،

---

(١): ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٤ ج ، بيروت ١٩٧٤ م ، جـ ١٣ ، ص ٢٣٢ .